ADDAMEER
الضمير

معسكرات الاحتلال

امتداد لجريمة الإبادة الجماعية لأسرى قطاع غزة،
وتاريخ من القمع والاضطهاد

معسكر عناتوت

التطوّر الاستراتيجيّ والعسكريّ للمعسكر:

مع البدء في جريمة الإبادة الجماعيّة في قطاع غزّة منذ السابع من أكتوبر، باشرت قوّات الاحتلال بشنّ حملات اعتقال واسعة النطاق في قطاع غزّة وفي الضفّة الغربيّة على حدّ سواء. ومع هذه الحملات الواسعة النطاق ظهرت الحاجة لفتح مراكز اعتقال إضافيّة غير المركزيّة، وبدأت سلطات الاحتلال تستخدم مراكز احتجاز رفضت الإفصاح عنها، وباشرت بجريمة الإخفاء القسريّ للمعتقلين لأشهر عدّة.

يقع معسكر عناتوت داخل مستوطنة إسرائيليّة غير قانونيّة بالقرب من القدس في الضفّة الغربيّة المحتلّة 54، وقد تمّ بناؤه على أنقاض بلدة عناتا الفلسطينيّة التي استولت إسرائيل على معظم أراضيها في القدس المحتلّة55. ونذكر أنّ معسكر عناتوت هو المعسكر الوحيد الذي كان يتمّ نقل النساء المعتقلات من قطاع غزّة إليه، ومن ثمّ يتمّ نقلهم إلى سجن الدامون أو الإفراج عنهنّ، ولكنّ هذا لا يعني أنّ هذا المعتقل مخصّص للنساء فقط بل كان يُحتجز فيه أيضاً فلسطينيّو قطاع غزّة الذين يقطنون في الضفّة الغربيّة، أو لديهم تصاريح علاج.

ومع مساعي المؤسّسات للحصول على معلومات عنه اتّضح أنّه يُستخدم لاحتجاز الذكور أيضاً، ولكنْ يتمّ احتجازهم في أقسام منفصلة عن أقسام النساء. وعلى الرغم من قلّة المعلومات المتوافرة عن هذا المعسكر، والتعتيم من قبل قوّات الاحتلال على ما يتمّ ارتكابه من جرائم وظروف احتجاز صعبة، كان هناك تكتُّم أيضاً على الإفصاح عن هويّات الأسرى المحتجزين في هذا المعسكر. فمع بداية عمليّات البحث عن المفقودين منذ مطلع شهر أيّار، حتّى يومنا هذا لم يصدف أنْ قام الجيش بالردّ على أيّ مفقود موجود في معسكر عناتوت، على عكس معسكر "سديه تيمان" الذي تبيّن احتجاز آلاف الأسرى الغزيّين فيه.

54 Amnesty. "Israel must end mass incommunicado detention and torture of Palestinians from Gaza". 18 July 2024 https://www.amnesty.org/en/latest/news/2024/07/israel-must-end-mass-incommunicado-detention-and-torture-of-palestinians-from-gaza/

55 AlJazeera. "Thousands of Gaza workers go 'missing' in Israel amid wartime mass arrests". 28 Oct 2023 https://www.aljazeera.com/news/2023/10/28/thousands-of-gaza-workers-go-missing-in-israel-amid-wartime-mass-arrests

قد ما بدنا نحكي مش راح نوصل الصورة اللي كانت فعليا تصير معنا..

الأسيرة المحرّرة "س، خ"، مقابلة هاتفيّة، 20 آب

تتشابه ظروف الاحتجاز في معسكر عناتوت مع تلك الموجودة في "سديه تيمان" وبقيّة السجون الإسرائيليّة. ورغم قلّة الشهادات المتاحة حول هذا المعسكر، إلّا أنّه أصبح واضحاً أنّ دولة الاحتلال اتّخذت من تعذيب الأسرى سياسةً لها، إذ تشير الشهادات التي أُخذت من بعض المعتقلين في معسكر عناتوت إلى أنّ ظروف الاحتجاز هناك قاسية للغاية، ومن خلال جهود المؤسّسات الحقوقيّة تبيّن أنّه يتمّ احتجاز النساء، إضافة إلى الرجال في هذا المعسكر.

وتعرّض المعتقلون في هذا المعسكر إلى التكبيل طوال الوقت، وتعصيب الأعين وإجبارهم على الجلوس بوضعيّات مؤلمة، مثل الجلوس على الرُّكب، ومنع المعتقلين الحديث مع بعضهم على الرغم من احتجازهم بأعداد كبيرة في أماكن مكتظّة. ولم تكن هذه الإجراءات هي الإجراءات التنكيليّة الوحيدة التي تمّ اتّخادها من قِبل الجيش الإسرائيليّ، بل تمّ اتّباع سياسة التجويع والتعطيش بحقّ المعتقلين، إضافة إلى تقييد استخدام الحمّام إلى الحدّ الأدنى التي وصلت إلى مرّة واحدة في اليوم فقط، ومُنع الأسرى أيضاً من الاستحمام وتبديل الملابس. وكانت سياسة الإهمال الطبيّ حاضرة في هذا المعسكر كغيره من المعسكرات والسجون، حيث إنّ الأسرى حُرموا من العلاج، أو من تقديم الرعاية الطبيّة لجروحهم الناتجة بسبب الحرب.

وأفادت الأسيرة المحرّرة (ي، خ) التي تمّ اعتقالها بعدما قام جيش الاحتلال بإعدام زوجها المسنّ البالغ 70 عاماً أمامها، وذلك في تاريخ 8/12/2023. وتمّ تقييد يديها وتعصيب عينيها، ونقلها مع عدد من أفراد عائلتها في حافلات النقل الخاصّة بالجيش، وأثناء النقل وعلى الرغم من كِبر سنّها كان يتمّ ضربها على رأسها.

لدى وصولها إلى معسكر "عناتوت" تعرّضت لتفتيش عارٍ. وشرحت (ي، خ) عن ظروف الاحتجاز في المعسكر قائلة: "بقينا في عناتوت حوالي 6 أيّام، كنّا ليل نهار مقيّدين للأمام فقط، أزالوا الغمام، وكنّا نبقى جالسين على الأرض ممنوع نتحرك ونتكلم مع بعض، كنت لا أستطيع النهوض بسبب وضعي الصحّيّ، كانوا البنات يسحبوني يساعدوني وهنّ مقيّدات. كنّا نذهب إلى الحمّام ونحن مقيّدات، طبعاً الحمّام في عناتوت عالي جدّاً وللجلوس على الحمّام يجب الطلوع على درجات، كنت آخذ بنات اولادي معي لمساعدتي بالذهاب للحمّام، وإنزال السروال لأنّي مقيّدة. الوضع في عناتوت سيّء جدّاً، كنّا لا نعرف أن ننام، وكان لا يوجد فرشات تنام عليها البنات، والأكل سيّء جدّاً لا يشبع فقط خبز معه لبنة، وكان النوم في ساعات محدّدة. في عناتوت أعطوني أدويتي البديلة للضغط والقلب، وعرضوني على طبيب"56.

103 مقابلة هاتفيّة أجرتها مؤسّسة الضمير مع الأسيرة المحرّرة (ي، خ) في تاريخ 21 آب 2024

حالة الأسيرة (س، خ) تعكس واقع ظروف معسكر عناتوت

"يوم الإثنين بتاريخ 18/12/2024 الساعة 11:00 صباحاً سمعنا أنّ جيش الاحتلال بدأ يحاصر مشفى المعمداني، وأمروا أن يخرج كلّ مَن في المشفى. وبعدما خرج الذكور جاء دور الإناث وخرجنا مجموعات صغيرة، وكانوا حاطين كاميرا، أوقفونا أمامها، أخذوا بصمه العين، وقالوا لي: قفي على الجانب واعتقلوني أنا برفقة 4 نساء. بعدها اقتادونا إلى التفتيش العاري داخل المعمداني، وبعد ذلك تمّ تقييد يديّ وتعصيب عينيّ، ووضعونا أمام الدبّابات، وفي تلك الأثناء كان جيش الاحتلال يطلق النار على المواطنين، وبقينا من الظهر لبعد العصر تقريباً واحنا قاعدين في الشارع مربّطين، وبعد ذلك نُقلنا إلى "ناحل العوز" وكان هناك خيم، وجلسنا على الأرض تقريباً 3 ساعات، وكنّا نمشي حافيين، ولمّا طلبنا حرامات جابوا لنا بطّانيّات مرطبة يغطّونا فيهم، كانت الدنيا برد كثير وأعطونا ملابس سكنيّة نلبسها بدون ملابس داخلية تحتها وأخذوا منا جميع ملابسنا، بعدها خرجنا إلى معسكر "عناتوت". أثناء النقل كانت أعيننا معصبة ويدانا مقيّدة، وكانوا ينقلوننا بطريقه مستفزّه ويضربونا وحتى لما كنّا مربطين ونحن جالسين على مقاعد الجيب كان رأسي محنيّ، وفي هذه اللحظة رفعت راسي لأني دخت وشافتني المجندة وضربتني في العصا التي بحوزتها على راسي وانا فقدت الوعي، وبعد هذا الاعتداء أصبحت أشعر بدوخة دائمة وشعرت أنّ حاسّة السمع تأثّرت. الظروف في "عناتوت" صعبه جدّاً بقينا 5 أيّام ممنوع نتحدّث مع بعضنا ومقيدين في الأيدي والأرجل ومعصبي الأعين. كان التقييد حتّى أثناء استخدام الحمّام، وأنا كنت أدخل معي حدا لما أروح عالحمّام لأنّ له عتبة عالية، وكنّا مقيدين الأرجل أيضاً فكانت الحركة صعبة. النظافة في الحمّام معدومة وكانوا حاطين محارم فقط وما في مياه، وما رح تعرفي تنظفي نفسك منيح، موضوع النظافة الشخصيّة كان صعب جدّاً لأنّ أدواتها معدومة. نظام العدد كلّ شوي عدد، وأثناء العدد لازم تقومي والدنيا كانت ثلج ونحن بردانين ولازم تقومي ويشوفوك قدامهم. والنوم كان على فرشات رفيعة وبطّانيه واحده ولأنّ المعسكر مفتوح، وله سياج سلك فعندما كانت تشتي كان ينزل علينا. أمّا بالنسبة للطعام كانوا يجيبوا باكيتين خبز توست تبع اليهود مقطّع، وكانوا يجيبوا علبتين لبنة على الفطور والغداء والعشاء، ولما شافونا عاملين العلب مثل كبايات حتى نشرب المي أجوا سحبوا العلب. وبعد عدّة أيّام من وجودي في معسكر عناتوت، تمّ نقلي برفقة مجموعة من النساء إلى سجن الدامون. النقل كان في حافلات تمّ تفتيشنا قبل ما نطلع تفتيش عاري، في كلّ مرّة في التفتيش العاري المجنّدة كانت تمسك جسدي وصدري وتصير تضغط بقوة مثل كأنه تحرّش. وأثناء النقل واحنا قاعدين في الباص أحد الجنود صار يحط ايده على رجلي يحسّس على رجلي من فوق، وعلى الشفايف وعلى وجهي. تمّ الإفراج عنا في تاريخ 1/2/2024 تمّ تفتيشنا وتقييدنا واحنا بالسجن، وعندما جاؤوا للنقل قيّدوا أيدينا إلى الخلف وربطوا معنا كيس الأمانات، أمّا الرّجلين كانوا مقيدين مع أسيرة أخرى. أنا صار عندي تمزّق بالأكتاف لأنّه سبع ساعات يداي مقيّدة ومشبوكة بكيس الأمانات، وعيناي معصبة ورأسي محنيّ للأسفل وممنوع أرفعه وطوال فترة النقل كان ممنوع نشرب ماء، ولم يتم تقديم طعام لنا. رجعونا على معسكر عناتوت قعدنا في ليلة وفي الليل تقريباً الساعة 1:00 أجوا أخذونا وصلنا الساعة 6:00 على كرم أبو سالم"104.

تحويل المعسكرات الإسرائيليّة إلى أبو غريب وغوانتانامو

تُعدّ ممارسات الاعتقال والتعذيب المستخدمة في السجون الإسرائيليّة ضدّ الفلسطينيّين بعد السابع من أكتوبر 2023 مشابهة بشكل كبير للانتهاكات التي تمّ توثيقها في سجن أبو غريب في العراق، وسجن "غوانتانامو" في كوبا. في كلّ من هذه الحالات، لجأت السلطات إلى أساليب تعذيب تهدف إلى إذلال المعتقلين نفسيًّا وجسديًّا، وتدمير إنسانيّتهم وتوازنهم النفسيّ.

في جميع هذه الحالات، نجد أنّ التعذيب النفسيّ يلعب دورًا رئيسيّاً في كسر معنويّات المعتقلين. في السجون الإسرائيليّة، كما في أبو غريب وغوانتانامو، اعتمد الجيش الإسرائيليّ على أساليب مثل الموسيقى الصاخبة، والحرمان من النوم، وخلق بيئة من الخوف والترقّب الدائم، وسخّروا أدوات، منها استخدام الكلاب للتخويف والترهيب. وكانت الجرائم الجنسيّة حاضرة في السجون والمعسكرات الإسرائيليّة، كما كانت موجودة في أبو غريب و"غوانتانامو"، ابتداء من التعرية القسريّة للمعتقلين وتصويرهم ونشر صورهم، وصولاً إلى حالات الاغتصاب والتحرّش الجنسيّ الذي حصل مع مجموعة كبيرة من المعتقلين.

وكان العزل الانفراديّ للمعتقلين عن العالم سياسة ممنهجة متّبعة منذ بداية السابع من أكتوبر، حيث إنّ الاحتلال لم يكتفِ بعزلهم عن العالم الخارجيّ فقط، بل وعلى الرغم من وجود 150-200 معتقل في "البركس" نفسه إلّا أنّ كلّاً منهم كان يعيش في عزل انفراديّ، وذلك بسبب منع التواصل المطلق المفروض عليهم من قِبل الجيش؛ ما جعلهم يشعرون بحالة من اليأس والعجز، ما أدّى إلى تدهور صحّتهم النفسيّة والعقليّة.

يبدو أنّ الهدف الرئيس من هذه الأساليب المشتركة هو كسر إرادة المعتقلين وتحطيم إنسانيّتهم. سواء في السجون الإسرائيليّة، أو في سجن أبو غريب و"غوانتانامو"، كان الهدف من هذه الإجراءات هو الحصول على اعترافات أو معلومات، أو ببساطة فرض السيطرة، وتدمير روح المقاومة لدى الأسرى والمعتقلين.